الحمد لله قبل كل شيء فهو مَن خلق السماوات والأرض، وأعطانا العقل، وأمدنا بالأدلة وأمرنا بالتفكر ويسر لنا أسبابه، فالحمد لله قبل كل شيء وبعد كل شيء.

وهو مَن أرسل لنا خير رسله للناس، فذكَّرنا به ونقل لنا رسالته وفتح لنا كثيراً من أبواب الغيب، وأضاء لنا طرقها وبيّن لنا متى يجب علينا أن نتفكر ومتى نتوقف، فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاةً ترضَى به نفسُه وترضَى بها عنا يا رب العالمين.

أما بعد:

فكل الشكر لرجال الحديث الشريف، فلولاهم لخالط الحقائقَ الكثيرُ من الخرافة ولغرِقنا في بحرِ من الأدلة المتضاربة لا نرسو على برٍّ، ففي أثناء قيامي بالبحث عن كل دليل ديني يساعدني في بناء رؤيتي عن السماء والآيات الكونية ورد عليّ الكثير من الأحاديث المتضاربة التي لا تَهْدي إلى سبيل ولا تُنير أي طريق، يهدم بعضها بعضًا، ولكن بعد تحقيق تلك الأحاديث وإخراج الموضوع والمكذوب من بينها ظهر الطريق مُعبّدًا، متسقًا مع القرآن الكريم ولا يتناقض أبدًا مع مكتشفات العلم.

إهداء

أما عن الإهداء فأنا أُهدي ذلك الكتاب لوالدي فهو مَن زرع بداخلي حب القراءة والتأمل ونشأت بين جنبات مكتبة متنوعة تعلمت منها القراءة ثم النقد وتحليل ما أقرأ، كما أهديه لوالدتي فهي مَن أمسكت بيدي صغيراً لأتعلم الكتابة، وزوجتي التي لاقت برحابة صدر ما لاقت من انشغالي وشرود ذهني الدائم ولوالدها ووالدي الثاني المهندس رياض عباس، ولصديقي الدكتور أحمد السماديسي فلولا حماسته واقتناعه بأفكار الكتاب والنتائج المترتبة على تلك الأفكار، فربما لم يكن الكتاب بين يديك الآن عزيزي القارئ.

وأخيراً كل الشكر لكل مَن ساهم بالنقد البناء أو الإضافة كي يخرج الكتاب في صورته النهائية.

بسم الله الرحمن الرحيم

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿190﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿191﴾"

"آل عمران "

وعن عطاء: دخَلْتُ أنا وعُبيدُ بنُ عُميرٍ على عائشةَ فقالت لعُبيدِ بنِ عُميرٍ: قد آن لك أنْ تزورَنا فقال: أقولُ يا أمَّهْ كما قال الأوَّلُ: زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا قال: فقالت: دعُونا مِن رَطانتِكم هذه، قال ابنُ عُميرٍ: أخبِرينا بأعجَبِ شيءٍ رأيْتِه مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: فسكَتَتْ ثمَّ قالت: لَمَّا كان ليلةٌ مِن اللَّيالي قال: (يا عائشةُ ذَرِيني أتعبَّدِ اللَّيلةَ لربِّي) قُلْتُ: واللهِ إنِّي لَأُحبُّ قُرْبَك وأُحبُّ ما سرَّك، قالت: فقام فتطهَّر ثمَّ قام يُصَلِّي، قالت: فلم يزَلْ يبكِي حتَّى بَلَّ حجرَه، قالت: ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ لحيتَه، قالت: ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ الأرضَ، فجاء بلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاةِ فلمَّا رآه يبكي قال: يا رسولَ الله لِمَ تَبكي وقد غفَر اللهُ لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟ قال: (أفلا أكونُ عبدًا شكورًا) لقد نزَلَتْ علَيَّ اللَّيلةَ آيةٌ، ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [آل عمران: 190]) الآيةَ كلَّها. رواه ابن حبان وصححه الألباني.

مقدمة

اللهم أصلح لي نيتي واكتب لي أجرًا إن أصبت واعفُ عنى إن أخطأت وأنِرْ لي بصيرتي واجعل همي الأجر والثواب من عندك.

بعُدَت الشُّقَّة بين المسلمين والعلم الحديث، ومع توالي الاكتشاف العلمي وبُطْء مواكبة ذلك من علماء المسلمين عمومًا وعلماء الدين خصوصًا، جَمُدت الصورة الذهنية للسماوات والأرض عند حدود ما كان مسلَّمًا به من المسلمين في صدر الإسلام، ومع ضعف الوازع الإيماني عند الكثيرين أصبح تجديد التصور الديني للمفاهيم الكونية تبعًا لآيات القرآن وأحاديث الرسول ضرورةً حتمية، لأنه أولًا سوف ينتشل كثيرين ممن يُقدِّمون العقل من براثن الإلحاد ويُثبَت لهم كم كان القرآن معجزًا في الناحية العلمية، وثانيًا يزيد من تعظيمِنا لقدرة الله عز وجل في الخلق.

هذا تصور جديد عن بعض الآيات الكونية في القرآن تبعًا لمشاهدات العلم الحديث. قد يكون صادمًا ككل جديدٍ ولكنه لا يتعارض مع نصوصِ أو عقائدَ ثابتةِ ويمثل فرضية أكثر تناسقًا

للمشاهدات العلمية الحالية، ويعطي نظرة مختلفة، وبمفهوم أوسع لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

الآيتان 190، 191 من سورة آل عمران تحثَّان وبوضوح على التفكر في خلق السماوات والأرض والبحث عن قوانين عملهما وتمتدح مَن يفعل ذلك بوصفهم أصحاب العقول، كما أن وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالويل لمن ترك ذلك يبطل الزعم بأن ذلك علم لا ينفع وجهل لا يضر.

فما أن يبدأ الإنسان في التفكر في خلق السماوات والأرض فسرعان ما يجد أثر ذلك في نفسه عندما تتضح له عظمة الخلق وقدرة الخالق وهول النار واتساع الجنة ومن هنا يكرر "ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار".

أعتذر لكم ولكن قبل البَدْء في الحديث عن أي رؤًى جديدة للنظرة الدينية للكون يجب أن أوضح بعض الحقائق العلمية الجافة ولكن فهمها واستيعابها حتمي لأنه ما سوف نبني عليه باقي الحديث.

و لكن أولًا يجب أن أؤكد على الآتي:

1 : العلم متغير لكن الدين ثابت، لذا حاولت أن أبتعد تمامًا عن النظريات (و ما أكثرها) التي لم تثبت صحتها واعتمدت على

المشاهدات - دون التفسيرات لتلك المشاهدات - ما أمكنني، مع اقتناعي التام أنه بمرور الوقت واتضاح مزيد من الحقائق العلمية سوف تتعدَّل نظرتُنا للآيات الكونية في القرآن تبعًا لتطور مفهومنا للكون، ولكن حينها نكون قد استجبنا لأمر الله بالتفكر فيما بين أيدينا واستفدنا بالاعتبار بما وَصَلَنا من حقائق العلم.

2: العلماء يعترفون بقصورهم الشديد في تفسير كثير من الحقائق العلمية وسوف نوضح ذلك عند عرض بعض النظريات والمشاهدات.

3: أنا أعتمد على القرآن والأحاديث الصحيحة في بناء رؤيتي الجديدة أكثر من اعتمادي على حقائق العلم, فالقرآن بالنسبة لي هو الثابت الذي لا يتغير، وما قد أورده من حديث ضعيف إنما لتعضيد الفكرة أو توضيح جانب منها لا لبناء الفكرة نفسها.

4: مرفق المراجع العلمية أو الدينية التي اعتمدت عليها.